

جبل ديهوم

مجموعة قصصية

مريم توركان

الإهداء

إلى أنصافِ رَوْحي ومَهوى قلبي.

إلى سندي وأماني وملاذي.

إلى مَنْ يعجزُ قلبي عن شكرهم.

إلى مَنْ ينبضُ قلبي بحُبِّهم.

إلى مَنْ أنعمَ اللهُ عليَّ بهم ليطمئنَّ قلبي.

إلى إخوتي.. جُزيتم عني الجنَّةَ ونعيمها، وجعلني اللهُ لكم سِتْرًا من النار،

كما أسألهُ سبحانهُ وتعالى أن يُرضيكم ويُرضيكم ويرضى عنكم.. إنَّ

رَبِّي لسميعُ الدعاء.

مريم توركان

الفهرس:

1_غداً اللقاء

2_وصية أمّ

3_طلق ناري

4_شُرطي أمين

5_حُبّ الله

6_جبل ديهوم

7_رسالة من الماضي

8_عمل مشبوه

9_ورقة مسطورة

10_حبيب

11_جواهر

1_ (غداً اللقاء)

وُلِدَتْ بيضاء كلبينٍ مُصَفَّى، بشعرٍ أَشَدُّ سوادًا من الفحم، أنعمُ من
الحرير، شقراءُ الحاجبين، بُنيَّةُ العينين مع لمعةٍ ساحرة، فَرِحَ بها
الأبوان والأخوة، سَعِدَتْ بها أمُّها، أَحَبَّتْها الجدَّةُ كثيرًا، وكذا عائشة
القبلة.

مَرَّتْ الأيَّامُ وبلغتُ عامها الثالث.. كانت مَرِحَةً، ضَحُوكَةً، جميلة
المبَسَّم، حُلُوَّةُ الجِلْسَةِ، مُحِبَّةٌ للحلوى والشراب الحلو البارد، بالإضافةِ
لعسل النحل، واللبن المحلَّى.

حينَ بلغتُ الخامسة زادها اللهُ جمالًا فما رآها رآءٍ إِلَّا وأشادَ بجمالِ
الخالقِ وحُسنِ صَنعته، عُرِفَتْ بالنقاء، واشتُهِرَتْ بالبساطة، وذاعَ
صِبْغها_ بينَ الأهلِ_ بعفويتها المبالغ فيها.

أَحَبَّتْ أمُّها كثيرًا وكانت تراها القدوة الصالحة التي يجب أن تُصبحَ
مثلها يومًا ما.

لم يَكُنْ الأبُّ أَشَدُّ فرحًا من ذي قبل كفرحه بها، فكانَ يصطحبها معه
في زيارتهِ العائلية ليُباهي بها، فيأتي الأقربون بأزواجهم ليرونها، ثُمَّ
يتحسَّنَ شعرها المسدولِ على كتفها، ويغسلنَّ لها الوجه كاختبارٍ إنْ
كانتُ أمُّها قد زَيَّنَتْها بمساحيق التجميل أم أَنَّهُ جمالٌ رَبَّاني، وبينَ هذا
وذاك غَضِبَ الأبُّ لبُنيَّتِهِ ذات الستةِ أعوام، فأمرَ زوجها بأنْ لا تُصَفِّفَ

لها شعرها عندما يأخذها معه حيث يذهب، وأن لا تغسل وجهها، وأن لا تلبسها البراق من الثياب؛ فقد علم اليقين أن ابنته تحسد من ذوي قُربته، فحين تعود من زيارتهم تأبى تناول الطعام، كما تأبى الحديث مع أبيها على وجه الخصوص، ومن ثم تبكي حتى تُلَوَّنَ عيناها بلونِ الدَّم، وتتساقط أهدابها الطويلة كما تتساقط أوراق الشجر في فصل الخريف، تقوم الأم برُقيتها فتهدا وتنام.

ظَلَّتْ هكذا حتى بلغت الثامنة وهُنَا كَانَ كُلُّ مَنْ يَرَاهَا مِنْ مَعَارِفِ وَالِدِهَا وَغَيْرِهِمْ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي خِطْبَتِهَا ثُمَّ الزَّوْجَ حِينَ تَكْبُرُ - كَمَا كَانَ سَائِدًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ - وَلَكِنَّهُ يَرْفُضُ رَفْضًا قَاطِعًا.

كَانَتْ هِيَ بِهَجْةِ الْبَيْتِ، وَفَرِحَتْهُ، وَبَسَمَتْهُ، وَضَحِكْتِهِ حَتَّى ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي أَحْزَنَ عَلَيْهَا مَنْ يُحِبُّونَهَا وَيَعْرِفُونَهَا!

فِي إِحْدَى سِنَوَاتِهَا الدِّرَاسِيَّةِ وَدُونَ سَابِقِ إِندَارِ، شَعَرْتُ بِإِعْيَاءٍ شَدِيدٍ أَفْقَدْتُ تَرْكِيزَهَا وَقَوَاهَا، فَاصْطَحَبْتُهَا صَاحِبَتِهَا إِلَى الْبَيْتِ، وَمَا أَنْ رَأَاهَا إِخْوَتَهَا وَهِيَ تَهْوِي أَرْضًا حَتَّى هَرَعُوا إِلَيْهَا، حَمَلَهَا أَحَدُهُمْ إِلَى فِرَاشِهَا، أَسْرَعْتُ إِلَيْهَا لِتُصَدِّمَ مِنْ رُؤْيَةِ فَتَاتِهَا - ذَاتِ السَّبْعَةِ عَشَرَ رَبِيعًا - وَقَدْ خَارَتْ قَوَاهَا فَلَا تُحَرِّكُ سَاكِنًا، حَمَلُوهَا إِلَى الطَّبِيبِ الَّذِي شَخَّصَ حَالَتَهَا بِهَبْوَطٍ حَادٍ فِي الدُّورَةِ الدَّمْوِيَّةِ، بِالإِضَافَةِ لِهَبْوَطٍ حَادٍ بِالبُطَيْنِ الأَيْمَنِ مِنَ الْقَلْبِ، نَظَرَ الطَّبِيبُ لِأَظْفَارِهَا فَرَأَاهَا تَحَوَّلَتْ مِنْ لَوْنِهَا

الوردي إلى لون الرصاص القاتم، راعه المنظر، أسرع بتركيب كانوا
ومن ثم محاليل وجلوكوز، وضع أخيها الباكي عليها يده على يدها
فارتجفت عروقه لشدة برودة أطراف أخته المائلة بين الحياة والموت.
ظلَّ الطبيبُ يُسابقُ الزمنَ في نجاتها حتى أنه أمرها بأن لا تستسلمَ
لانطباقِ جفنيها خشية ألا تُعاود فرجتها ثانية؛ فالموتُ أقربُ إليها من
ذلك، أطاعتُ أمره ثم نظرت لأخيها فرأته يذرفُ جمرَ قلبه صامتًا
فقاومت وقاومت حتى أعانها الله، فرحَ الطبيبُ باستجابةِ
الجسد للمحاليل ولو نوعًا ما، ووصفَ لها الكثير من الأدوية التي من
شأنها رفع كفاءة الدورة الدموية، ثم نظَرَ إليها بحُزنٍ وأضاف: إن لم
تموتي فغداً اللقاء.. أو مات برأسها وغادرت مع أخيها وكلِّها يقين بأنَّ اللهَ
لن يفطر عليها قلوبًا أحبَّتها.

ظَلَّت تُقاوم وتأخذ الدواء برعاية أمِّها وإخوتها حتى جاء الغد وذهبت إلى
الطبيب بصحبة أخيها مُترجلةً غير محمولة.. فرحَ الطبيب ووصفَ لها
دواءً آخر، ثم أخبرها بأنَّها وُلِدَتْ من جديد.

مرَّت الأعوام وتبيَّنت الحقائق، وهي أنَّ ما أصابها لم يكن سوى حقدٍ
وحسد من أحدهم.. لم تغضب حين عَلِمَتْ ولكنها سألت الله أن يجعل
ما لاقت في ميزانِ حسناتها وتكفيراً لسيئاتها، ثم استعانت بالله على
المُضي قديمًا فأعانها فلم تُعد ترى في الماضي إلا خيرًا جاءها على هيئة
بلاء والله يُحبُّ الصابرين.

لو يَعْلَمُ الحاسد أَنَّهُ يُؤْذِي نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْذِي غَيْرَهُ فَمَا فَعَلَ ذَاكَ
الْفِعْلَ القَبِيحَ.

بل لو يَعْلَمُ بِأَنَّهُ يَكُونُ سَبَبًا فِي رَفْعَةِ مَنْ يَحْسَدُهُ فَمَا حَسَدَهُ مِنْ
الْأَسَاسِ.

فالحسد تكفيرٌ للسّيئات ورفعٌ للدرجات وعُلُوٌّ فِي الْمَكَانَاتِ.

وَمَنْ رَضِيَ بِقِضَاءِ اللَّهِ أَرْضَاهُ اللَّهُ.

2_ (وصية أمّ)

أنهى صلاته وجلسَ يتلو بعض آي الذكر الحكيم، ثمّ قرأ ورده من أذكار الصباح، وعاد لبيته حتى لا يتأخر على المدرسة.

أمّي السلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته، قد عدتُ من المسجد.

وعليكم السلام ورحمةُ الله وبركاته مُحمّد، كم راجعت من القرآن الكريم هذا الصباح؟

جزءًا أمّي وقرأتُ أذكار الصباح.

بارك الله لك بُنيّ وحَفِظَكَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ.

هيّا لنتناول الإفطار فقد أعددتُهُ كما تُحبّ.

سَلِمَت يَدَاكِ أُمِّي.

بالهناء والشفاء حبيبي وفلذتي.

تناولا الإفطار ثمّ ذهب مُحمّدٌ إلى المدرسة وقامتُ أمّه بفتح بِقالتها بداخل بيتها.

إنتهى اليوم الدراسي وأثناء عودته إلى البيت رأى شيخًا كبيرًا جالسًا يبكي في إحدى جَنَبَات الطريق، أسرع إليه سائلًا إيّاه: ما يُبكيك جدّي؟

الشيخ الكبير: الفقر بُني؛ فليس لديّ ما أقتاتُ به، ولا أدري ماذا أفعل
عندما تعود حفيدتي زينب من المدرسة ولم أحضر لها طعامًا؟

مُحمّد: لا عليك جدّي، ولكن لماذا تأخرت حفيدتُك يا تُرى؟

الشيخ الكبير: رُبما لديها بعض الحصص الإضافية، وفقها الله وجبَرَ
خاطرها يتيمّة الأبوين المُجتهدة.

مُحمّد: وفقها الله وجبَرَ خاطرها.

وبعد بضعة دقائق جاءت زينب مُبتسمةً كالعادة.. جدّي.. جدّي قد
أتيت.

الشيخ الكبير: مرحبًا بحبيبتِي زينب.

مُحمّد: كيف حالكِ زينب؟

زينب مُندهشة: الحمدُ لله ثُمَّ نظرت لجدّها سائلةً إيّاه بعينها
السوداوين.

تبَسّم الجدّ ونظر لها قائلاً: هذا مُحمّد أحد أقرّبنا و.... قاطعتهُ زينب:

منذُ متى ولنا أقارب جدّي؟

الجدُّ مُبتسّمًا: من الآن.

مُحمّد: هيّا بنا فقد تأخرنا.

زينب: تأخرنا على ماذا؟

مُحَمَّدٌ مُبْتَسِمًا وَنَاطِرًا إِلَى الْجَدِّ: تَأَخَّرْنَا عَلَى الْغَدَاءِ فَأُمِّي فِي إِنتِظَارِنَا.

قَامَ الْجَدُّ مُتَكِنًا عَلَى عَصَاهُ وَأَمْسَكَ بِيَدِ زَيْنَبٍ ثُمَّ تَوَجَّهُوا إِلَى بَيْتِ مُحَمَّدٍ.

ها قد وصلنا جد.. هذا بيتنا وهذه بقاتنا.

أُمِّي السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

وعليكم السلام ورحمةُ اللهِ وبركاته، أهلاً وسهلاً، تفضلوا.

جَلَسَ الْجَدُّ وَزَيْنَبُ بَغْرَفَةِ الضِّيَافَةِ، وَذَهَبَ مُحَمَّدٌ وَأُمُّهُ لِيُحْضِرَا الْغَدَاءَ

مِنَ الْمَطْبَخِ، وَأَثْنَاءَ ذَلِكَ قَصَّ مُحَمَّدٌ عَلَيْهَا قِصَّةَ الْجَدِّ وَحَفِيدَتِهِ، ثُمَّ

أَرْدَفَ مُعْتَذِرًا عَنِ عَدَمِ اسْتِئْذَانِهِ لَهَا قَبْلَ أَنْ يُحْضِرَهُمَا إِلَى الْبَيْتِ.

رَبَّتْ الْأُمُّ عَلَى كَتْفِ ابْنِهَا ثُمَّ قَالَتْ: حَسَنًا فَعَلْتَ بُنَيَّ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ

غَضِبْتُ عَلَيْكَ، وَالْآنَ هِيَ قَبْلَ أَنْ يَبْرُدَ الطَّعَامُ.

تَغَدَّوْا وَتَحَدَّثُوا قَلِيلًا ثُمَّ اسْتَأْذَنْتِ أُمُّ مُحَمَّدٍ الْجَدَّ فِي أَنْ تَدْخُلَ زَيْنَبُ

الْبِقَالَةَ بِصَحْبَةِ مُحَمَّدٍ لِتَخْتَارَ مَا تَشَاءُ مِنَ الْحَلْوَى وَبَعْضِ الْأَلْعَابِ

الْمَوْجُودَةِ بِهَا.

أَذِنَ لَهَا الْجَدُّ فِي ذَلِكَ ثُمَّ سَأَلَهَا: أُمُّ مُحَمَّدٍ أَيْنَ هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ؟

فأجابته بحزن: توفاهُ اللهُ مُذْ كانَ مُحَمَّدًا حَمَلًا في بطني، وقد ترك لنا
بعض المال فافتتحتُ به هذه البقالة؛ كي أنفق على نفسي وولدي، وها
قد كَبُرَ مُحَمَّدٌ وبلغ الثانية عشر، ويُساعدني في عملي بجانب دراسته
بالمدرسة.

الجدّ: رحمه اللهُ وأعانك وبارك في مُحَمَّدٍ وجعله خَيْرُ خَلْفٍ لخير سلف،
والآن لنذهب.

أمّ مُحَمَّدٍ: إلى أين عمّ؟

الجدّ: إلى بيتنا ابنتي، وجزاكم اللهُ خَيْرًا على ضيافتكم لنا، وللعلم قد
أحسنتِ التربية في مُحَمَّدٍ.

أمّ مُحَمَّدٍ: مُحَمَّدٌ تعالَ وزينب إلى هنا.. عمّي إنتظرنِي لحظة.

الجدّ: حسنًا.

جدّي.. جدّي أرايتَ الحلوى والألعاب التي أعطانيها مُحَمَّدٌ كُلُّها لي
وحدّي.

الجدّ: بارك اللهُ فيكَ مُحَمَّدٌ.

مُحَمَّدٌ: وفيكَ بارك اللهُ جَدّ.

أمّ مُحَمَّدٍ قادمة من الداخل: مُحَمَّدٌ خُذْ هذا وأوصلهُ وجدّك وزينب إلى
البيت.

الجدّ: ما هذا يا ابنتي؟

أمّ مُحَمَّد: هذا عشاءُ زينب طالما أردتما الذهاب.

الجدّ: لا أدري ما أقولُ لكِ؟

أمّ مُحَمَّد: قُلْ أَنْتَ لَنْ تَنْسَانَا وَلَنْ تَحْرَمَنَا مِنْ بَرَكَةِ مَجِيئِكَ إِلَيْنَا.

الجدّ: جُزَيْتِ خَيْرًا بُنَيَّتِي، سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

أمّ مِ حَمْدُ مُقْبَلَةٌ يَدُ الْجَدِّ بَعْدَمَا حَضُنْتَ زَيْنَبَ: تَصْحَبُكُمْ السَّلَامَةُ.

ها قد وصلنا بُنَيَّ، وفتح الجدّ بابهُ دلفت زينب ودلف مُحَمَّدُ ثُمَّ وَضَعُ ما كان معه على الطاولة واستأذن وغادر.

مَرَّتِ الْأَشْهُرُ وَمُحَمَّدٌ وَأُمُّهُ يَتَعَاقَبَانِ عَلَى زِيَارَةِ الْجَدِّ وَحَفِيدَتِهِ حَتَّى مَرِضَ وَقَبِلَ أَنْ يَتَوَفَّاهُ اللَّهُ أَوْصَى أُمَّ مُحَمَّدَ بِكِفَالَةِ زَيْنَبَ ذَاتِ الْعَشْرَةِ أَعْوَامَ.

وقد كان.. فأخذت أمّ مُحَمَّدُ زَيْنَبَ إِلَى بَيْتِهَا لِتَعِيشَ مَعَهَا مُتَكَفِّلَةً بِهَا.

مَرَّتِ السَّنُونَ وَقَدْ كَبُرَ مُحَمَّدٌ وَتَخَرَّجَ مِنَ الْجَامِعَةِ لِيُصْبِحَ مُعِيدًا بِكَلِيَّةِ الْهِنْدَسَةِ، وَكَذَا زَيْنَبُ قَدْ تَخَرَّجَتْ مِنَ الْجَامِعَةِ لِتُصْبِحَ مُعِيدَةً بِكَلِيَّةِ الْأَدَابِ، ثُمَّ تَزَوَّجَا بَعْدَ تَعْيِينِهِمَا وَتَبَدَّلَتِ الْأَحْوَالُ لِلْأَفْضَلِ.

وقد جعلت زينب بيت جدّها وقفاً لله؛ فحُوِّلَ إِلَى دَارٍ لِرِعَايَةِ الْمُسْنِينِ، ثُمَّ سَافَرَ الزَّوْجَانِ إِعَارَةً إِلَى إِحْدَى الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ مُصْطَحِبِينَ بَرَكَتَهُمَا

وتأج رأسهما أمّ محمد، التي ظلت تُربّي أولادهما كما ربتهما من قبل،
حافرةً في نفوسهم وصاياها الثمينة المرتكزة على حبّ الله ورسوله صلّى
الله عليه وسلّم، ومبادؤها التي لا تتجزأ ولا تتغيّر، كالصدق والأمانة
والشجاعة، والثبات عليها مهما كلف الأمر.

3_ (طلق نارى)

أَحَبَّهَا حِينَ رَأَاهَا حَاضِنَةً كَثَمَهَا ذَاهِبَةً إِلَى الْمَدْرَسَةِ، كَتَمَ حُبَّهَا بِقَلْبِهِ حَتَّى
أَنْهَتْ دَرَأَسَتَهَا الثَّانَوِيَّةَ؛ ثُمَّ أَخْبَرَهَا بِحُبِّهِ لَهَا وَفَرِحَ حِينَ أَخْبَرْتَهُ بِأَنَّهَا
تُبَادِلُهُ نَفْسَ الشُّعُورِ وَتَعَاهِدَا عَلَى الزَّوَاجِ.

نُهَى.. نُهَى كُفِّى عَنِ الْبِكَاةِ فَقَلْبِي لَا يَتَحَمَّلُ أَنْ يِرَاكَ بَاكِيَةً هَكَذَا.

لَا أَقْوَى عَلَى فِرَاقِكَ مَجْدِي، فَمَاذَا سَأَفْعَلُ فِي غِيَابِكَ؟

مَجْدِي: بِاللَّهِ حَبِيبَتِي لَنْ أَتَأَخَّرَ عَلَيْكَ، فَقَطْ سَأُسَافِرُ لَجَمْعِ مَا يَنْقُصُنِي
مِنْ مَالٍ؛ لِأَعِدَّ لَكَ بَيْتًا يَلِيقُ بِكَ.

نُهَى: وَفَقَكَ اللَّهُ وَأَعَانَكَ عَلَى مَا نَوَيْتَ فَعَلُهُ وَأَعَادَكَ لِي سَالِمًا غَانِمًا.

مَجْدِي: نُهَى سَنَبَقَى عَلَى الْعَهْدِ.

نُهَى: سَنَبَقَى عَلَى الْعَهْدِ مَجْدِي.

مَجْدِي: وَالْآنَ حَانَ وَقْتُ الذَّهَابِ، إِعْتَنِي بِنَفْسِكَ نُهَى.. أَتُرِيدِينَ شَيْئًا؟

نُهَى: سَلَامَتُكَ أُرِيدُ حَبِيبِي، إِعْتَنِي بِنَفْسِكَ جَيِّدًا، مَجْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

مَجْدِي: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَأَنْهَتْ نُهَى دَرَأَسَتَهَا الْجَامِعِيَّةَ، وَظَلَّتْ مُنْتَظِرَةً عَوْدَةَ حَبِيبِهَا

المهندس مجدي

ليتزوجا.

نُهي.. نُهي.

ماذا تُريدِين أُمِّي؟

أُمّ نُهي: قد أرسلت جارتنا أُمّ عادل خبرًا بأنَّهم سيأتوننا في المساء!

نُهي: وما شأني أُمِّي؟

أُمّ نُهي: عجبًا لأمرِك نُهي، فأُمّ عادل أخبرتني أنّ عادلاً يُريدُ الزواج منك.

نُهي: أُمِّي ماذا تقولين؟.. فأنا لا أرغبُ في الزواج الآن.

أُمّ نُهي: ومتى سترغبين؟.. حينَ تبلغين الأربعين؛ أنصتي إليّ بُنيّتي..

صديقاتك قد تزوجنَّ وأنجنَّ والآن أولادهنَّ بالمدارس، أمّا أنتِ فما

زلتِ كما أنتِ!

نُهي: سأتزوج وأنجب وأفعل ما تُريدي حينَ يشأ الله.

أُمّ نُهي: ومتى يشأ الله أستاذة نُهي؟

نُهي: قريبًا أُمي قريبًا.

أُمّ نُهي: وماذا سأفعل مع الضيوف؟

نُهي: كما فعلتِ مع غيرهم أُمّ نُهي!

أُمّ نُهي: سأفعل إرضاءً لقلبكِ بضعتي.

نُهَى فِي خَجَلٍ: وَمَا شَأْنُ قَلْبِي؟

أُمُّ نُهَى مُدَاعِبَةً: أَتُظَنِّينِي لَا أَعْلَمُ؟

نُهَى فِي تَوْتِرٍ: تَعْلَمِينَ مَاذَا أُمِّي؟

أُمُّ نُهَى: أَعْلَمُ بِأَنَّ بُنَيَّتِي الصَّغِيرَةَ كَبُرَتْ وَدَقَّ قَلْبُهَا بِنَبْضِ الْحُبِّ!

نُهَى عَلَى اسْتِحْيَاءٍ: أَجَلُ أُمِّي.

أُمُّ نُهَى: وَمَنْ سَعِيدُ الْحِظِّ هَذَا؟

نُهَى: الْمُهَنْدِسُ مَجْدِي ابْنُ عَمِّ أَحْمَدِ الْبِقَالِ.

أُمُّ نُهَى: مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، مَجْدِي خَلَقَ وَمُجْتَهِدٌ جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ نَصِيبِكَ آمِينَ.

نُهَى: آمِينَ أُمِّي آمِينَ.

أُمُّ نُهَى: وَلَكِنَّهُ مَسَافِرٌ عَلَى حَدِّ عَلِيٍّ!!

نُهَى: أَجَلٌ، سَافِرٌ كِي يُعِدَّ نَفْسَهُ لِلزَّوْجِ وَتَعَاهِدُنَا عَلَى الزَّوْجِ حِينَ يَعُودُ.

أُمُّ نُهَى: وَفِي أَيِّ الدُّوَلِ هُوَ؟

نُهَى: فِي إِحْدَى الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ.

أُمُّ نُهَى: حَسَنًا، أَتُهَاتِفِينَهُ؟

نُهي: أجل أُمِّي.

أمّ نُهي: حينَ تُهاتفه أخبره بعلي بالموضوع وأني مُرحبةٌ به ولا تنسي إبلاغه سلامي.

نُهي فرحةً: حسناً أمي كما تُريدين.

فرح مجدي بما أخبرته به نُهي، وأخبرها بأنّه أوشك على الانتهاء من عمله ومن ثمّ العودة إلى مصر والزواج منها.

سعدت نُهي بما سمعت من مجدي وأخبرت أمّها على الفور؛ ففرحت لسعادة ابنتها.

بدأت نُهي تُعدّ نفسها لمقابلة حبيبها؛ فقد اقترب الموعد.

نُهي... نُهي ما بكِ بُنيّتي؟

نُهي: سلامتكِ أُمِّي، ولكنّ قلبي مقبوضاً على مجدي منذُ البارحة.

أمّ نُهي: هاتفيه واطمئني عليه.

نُهي: قد فعلتُ منذُ البارحة ولكنّه لم يُجب!!

أمّ نُهي: رُبما لديه ما يُنجزه من عمل.

نُهي: قد أنهى عمله منذُ الإِسبوع الماضي وكان يستعدُّ للمجيء غداً.

أمّ نُهي: لا تقلقي، خيراً إن شاء الله.

وقبل أن تردّ نُهى على أمِّها إرتجَّ الشارع لصراخ امرأةٍ مكلومة؛ خرجت
نُهى لترى ما الذي يجري؟

فصُدِّمَت حينَ رأت أمَّ مجدي تُبكيه!!!

عادت لأُمِّها وقبلَ أن تنبس ببنت شفة سقطت على الأرض مَغشيًا
عليها؛ وتمَّ نقلها إلى المستشفى لتمكث بها عدَّة أيَّام حتى تعافت من
صدمتها وعادت إلى البيت.

أمِّي ما الذي حدث لمجدي؟

أمّ نُهى: قد توفاهُ اللهُ بُنيّتي.

نُهى: كيف؟.. فقد كانَ بخيرٍ أمِّي.

أمّ نُهى: قد قتلهُ ابنُ صاحب الشركة التي يعملُ بها!!!

نُهى: كيف قتلهُ؟.. ولم؟

أمّ نُهى: يقولون أنَّ مجدي ذهب ليودِّعَ صاحب العمل في مكتبه؛

فدخل عليه ابنهُ غاضبًا يُريدُ المال، فنهَّرهُ أباهُ وطردهُ ولكنَّه لم

يستجب، وأخرج مُسدسهُ مُصوبًا نحو أبيه؛ فدفعهُ مجدي ونهَّرهُ

واستدار ليطمئنَّ على صاحب العمل، فإذا به يسقط على الأرض غارقًا

في دمائه، تمَّ نقله إلى المستشفى ومات على إثرها.

نُهى: وأين القاتلُ الآن؟

أم نُهي: مُحتَجَزٌ فإِذَا أَنْ يَقْبَلِ عَمَّكَ أَحْمَدُ الدِّيَّةَ وَإِذَا أَنْ يُقْتَصَ مِنْهُ.

نُهي: أُمِّي هَلْ لِي أَنْ أَرَى عَمِّي أَحْمَدَ؟

أم نُهي: سَأُرْسِلُ لَهُ الْآنَ.

وبعد دقائق.. نُهي قد جاء عَمُّكَ أَحْمَدَ.

نُهي: أَهَلَّا بِكَ عَمِّي أَحْمَدَ.

أبَا مَجْدِي: أَهَلَّا بِكَ ابْنَتِي.

نُهي: عَمِّي اسمح لي أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ مَا نَوَيْتَ فَعَلُهُ بِخُصُوصٍ حَقِّ مَجْدِي.

أبَا مَجْدِي: لَمْ يَكُنْ لَدِينَا سِوَى مَجْدِي كَمَا تَعْلَمِينَ؛ قَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ إِيَّاهُ وَقَدْ أَخَذَهُ، وَلَسْنَا بِحَاجَةٍ لِلْمَالِ، فَالْبِقَالَةَ تَكْفِينَا وَتَزِيدَ، كَمَا أَنَّ مَجْدِي

قَدْ تَرَكَ لَنَا مَالًا كَثِيرًا نَظِيرَ غُرْبَتِهِ، وَنَحْنُ لَا نَقْبَلُ الْعَوْضَ؛ فَالْدِّيَّةَ

مَرْفُوضَةَ، وَأَمَّا عَنِ الْقِصَاصِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَإِنْ إِقْتَصَصْنَا مِنَ الْقَاتِلِ فَلَنْ يَعُودَ مَجْدِي؛ لَذَا تَنَازَلْنَا عَنِ الْقِصَاصِ أَيْضًا، فَصَاحِبِ

الشَّرْكَةِ لَيْسَ لَدَيْهِ سِوَى ابْنِهِ هَذَا وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُحْرِمَهُ إِيَّاهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ

مُخْطِئًا فِي قَتْلِ وَلَدِي، وَقَدْ أُجْرِيَّ لَهُ إِخْتِبَارُ إِدْمَانِ الْمُخْدِرَاتِ؛ فَكَانَتْ

النَّاتِجَةُ بِالْإِجَابِ، فَوَضَعُوهُ تَحْتَ الْمُلَاحَظَةِ الطَّبِيبِيَّةِ حَتَّى يَسْتَكْمَلَ

عِلاجهُ.

أَمَّا عَنْكَ بُنَيْتِي فَهَذَا لِكَ خُذِيهِ!

نُهي: ما هذا عني؟

أبا مجدي: هذا نصفُ ما جمعهُ مجدي من مال، وهذه الهدايا قد
إبتاعها لك، فخذهم هم ملكك الآن.

نُهي باكيةً: لكنني لا أريدُ شيئاً سوى سلامتك عني.

أبا مجدي: أعلمُ ذلك، ولكنَّ الحقَّ حقٌّ، فقد تحمّلتِ وصبرتِ وحرمتِ
نفسك من الزواج لأجل ابني؛ ونحنُ مؤمنون باللهِ والآن عليكِ بالتفكير
بمستقبلك كي أرضى عنك بُنيّتي.

نظرت إليه نُهي بعينٍ مُدمعةٍ ثمَّ قبلت رأسه.

فربت هو على كتفها قائلاً: الحمدُ لله الذي عوّضني عن فراق ولدي
بحبيبته.

4_ (شُرطي أمين)

سوق تجاري ضخم يضم عشرات المحلات المتنوعة، بالإضافة لعدّة مقاهي ومطاعم، أبوابٍ زجاجية، مصاعد كهرباء، أرضية من السيراميك عالي الجودة، مكيفات الهواء تعمل هنا وهناك لتلطيف درجة حرارة الطقس ولو بعض الشيء.

طاقم النظافة يعملون طيلة الوقت دون كللٍ أو ملل، أفراد الأمن ينظرون هنا وهناك ثمّ بأجهزة المراقبة خشية وقوع السرقة، روائح زكية تفوح من محلّ الحلويات والذي يُديره طاهي تخصص في الحلويات الشرقية فقط.

الإقبال كثيف اليوم نظرًا لوجود عروض تخفيضية لعددٍ من المحلات والمطاعم.. دلفَ رَجُلٌ ستيني رَثَّ الهيئة لا يملك ما يسرّ الناظرين غير أنّه كثير التبسّم، أخذ يتجول بطُرقاتِ الطابق الأوّل حتّى رست قدماهُ أمام محلّ لبيع الجُبِن والخُبز، نَظَرَ للجُبِن نظرة المحروم، دَسَّ يدهُ في جيبه لتخرُج بثمانِ الخُبزِ فقط، فكَّرَ مليًا ثمّ فَعَلَ ما فَعَلَ.

لحظاتٍ وتعالّت الأصوات بعدما اجتمعَ النَّاسُ حوله بعد إمساك موظف الأمن به أثناء سرقة بعض الجرامات من الجُبِن، طأطأ رأسه مُنكسرًا أمامَ أعينٍ لا ترحم، ثمّ أجابَ حينَ وُجِهَت لهُ الأسئلة: يا ولدي لم أظعم منذُ ثلاثة أيّامٍ إذ لا مالَ لدي سوى ما ابتعتُ به بعضَ الخُبزِ،

فمددتُ يدي لأخذ بعض الجُبْن فأمسكتَ بي، هذا جُبْنُكُم خذوه
وأتركوني ودفعهُ إليهِ.

تعاطفَ معهُ الزبائن فأرادوا السداد عنه ولكنَّ موظف الأمن أبي،
حاولوا معهُ كثيرًا ولكنْ دونَ جدوى، فتدخلَ في الحوار أمين شرطة،
سألهم عن سببِ تجمُعِهِم واختلاطِ أصواتِهِم فأجابوه بما حَدَثَ.

سأل موظف الأمن: ماذا تُريدُ؟

فردَّ عليهِ: أُريدُ تقديمه للشرطة ولن أقبل السداد عنه ولن أتركهُ فهذه
أوامر صاحب العمل.

أمرَ أمين الشرطة الجنود بإحضار جميع مَنْ حَضَرَ الواقعة
لإستجوابِهِم، تراجعَ موظف الأمن وقَبِلَ السداد بعد مُهاذمتِهِ لصاحب
العمل.

قَبِلَ أمين الشرطة العجوز وأعطاهُ ما جَمَعَهُ الحاضرينَ من مالٍ
وطعام، نَظَرَ إليهِم العجوز بعينين مُدمعتين، ثُمَّ ذهبَ حتَّى إذا ابتعدَ
عنِهِم وضعَ ما أعطوه وما ابتاعهُ من خُبزٍ على أعتابِ السوقِ التُّجاري
وَوَلَّى باكيًا.

خرجَ أمين الشرطة ليجدُ ما وضعهُ العجوز؛ لَمَلَمَ تلكَ الأطعمة والمال
وأمرَ الجنود بتتبعِ العجوز ليعطوه ما تركَ.

5_ (حُبِّ اللَّهِ)

رأيتها تبكي فتركت لُعبتها وأسرعت إليها: أمي علامَ البُكاء؟

نظرتُ إليها والدمعُ يقطرُ من عينيها وأضافت: قد ضاقتُ بي الدُّنيا
بُنَيَّة.

ربتت الصغيرة على كَتفِ أمها بحنانٍ وأردفت: إذا هيا لنذهب من هنا.

سألتها: إلى أين بُنَيَّة؟

أجابت بفرح: إلى بيتِ جدتي أمي.

وماذا سنفعلُ به وهو خالٍ من الأحباب؟

سنجلس به بعض الوقت حتى وإن كان خالياً.. ألم تكن هذه وصيَّة

جدتي قبل موتها؟

أجابتها الأمُّ: بلى بُنَيَّة، ولكنَّ الضيق الذي هنا هو الذي هناك فالإبتلاء

قد اشتدَّ عليَّ حتى ضاقتُ بي الأرض.

قبَّلت الصغيرة جبينَ أمها ثمَّ رفعت يداها للسماء وقالت: اللهمَّ علّمني

كيف أجعلك تكره أمي؟!!!

تعجبت الأمُّ من صنيعِ طفلتها وسألت عن سبب ذلك.

أجابت ببراءةٍ بالغة تُخالطها العفوية: قد عَلِمْتُ من أبي قبل سفره أنّ اللهَ إذا أحبَّ عبدًا ابتلاه، فحين مَرَضَتِ أُمِّي وافتقرَ أبي وحُرِمْتُ من الأخوة عَلِمْتُ أنّ اللهَ يُحِبُّنا، وأنا وأبي نُحِبُّ اللهَ ونصبرُ لأجله، أمّا أنتِ أُمِّي فقد تضايقتِ من حُبِّ اللهِ لكِ لذا دعوتُهُ كي يكرهك فيذهب ضيقك.

إنفجرت الأمُّ باكيةً بعد أن تعلمت درسًا من صغيرتها لن تنساهُ ما بقيت على قيد الحياة، ثُمَّ كفكت دمعها واستغفرت رَّبِّها وأكدت لبنيّتها أنّ حُبَّ اللهِ هو السعادة بعينها وأنَّ البلاء من دلائلِ المحبّة، وأخذت مفتاح بيت أمِّها وذهبت.

وصلت وصغيرتها بعد خمس دقائق، فتحت الباب ودلفتا، بدأتا بالوضوء ثُمَّ صلاة الضُّحى، ثُمَّ أعدت لصغيرتها نوعها المُحبَّب من الحلوى، وجلست تدعو

لأمِّها كما وصَّتها: أي بُنيّة إنْ أنا متُ فلتدعي لي بالرحمة والمغفرة وما وردَ عن رسولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولا تقرأي عليّ القرآن الكريم فإنَّهُ لم يرد عن النبيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنْ قرأ أو أمرَ بقراءة القرآن على الموتى، ولكنَّهُ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وولد صالح يدعو له"، فلتقرأي القرآن الكريم لنفسكِ فذاك حصنك وحصانك وعصمتك، فاستمسكي به لتحلو به دُنيتكِ وآخرتكِ، أكثري من قراءته في بيتكِ كي تنعي بالبركة.

تبسمت ثُمَّ أخذت تقُصّ على صغيرتها ما وصَّتها به أمِّها.

6_ (جبل ديهوم)

ظُلِمَ حِينَ طُرِدَ مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ؛ إِذْ تَفَاجَأَ بِأَنَّ الْبَيْتَ مَكْتُوبًا
لِعَمِّهِ وَقَدْ خَبَأَ أَبَاهُ عَنْهُ الْخَبْرَ خَوْفًا مِنْ حُدُوثِ مَشْكَلاتٍ وَتَفْرِيقَةٍ، فَلَمَّا
مَاتَ أَخْرَجَ الْعَمَّ حُجَّتَهُ وَطَرَدَ ابْنَ أَخِيهِ.. أَخَذَ زَوْجَهُ وَبَنِيهِ وَذَهَبَ سَاعِيًا
فِي أَرْضِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ حَتَّى وَجَدَ طَلِبَهُ فَاسْتَقَرَّ وَكَوَّنَ لِنَفْسِهِ مَكَانًا عُرِفَ
بِهِ حَتَّى بَعْدَ مَوْتِ آخِرِ حَفِيدٍ مِنْ نَسْلِهِ.

تَفَقَّدَهُ فَوَجَدَهُ مُلَائِمًا لَهُ فَقَرَّرَ الْإِقَامَةَ بِهِ وَجَعَلَهُ مَأْوًا لَهُ وَلِحَفْدَتِهِ مِنْ
بَعْدِهِ.

سُنُقِيمُ هُنَا أُمَّ مُضَرَ فِهَذَا الْجَبَلُ بِهِ مَا نُرِيدُ.

أُمَّ مُضَرَ: وَأَيْنَ الْمَبِيتُ أَبَا مُضَرَ؟

أَبَا مُضَرَ: هُنَا فِي حِجْرِ هَذَا الْجَبَلِ سَنَبِيتُ .

أُمَّ مُضَرَ: هُنَا، أَلَا تَخْشَى عَلَيْنَا مِنَ السَّبَاعِ؟

أَبَا مُضَرَ: لَا سَبَاعَ فِي هَذَا الْجَبَلِ، فَلَا زَرْعٌ وَلَا مَاءٌ وَلَا رَعِيٌّ فَلِمَ تَأْتِ

السَّبَاعُ إِذَا؟

أُمَّ مُضَرَ: حَسَنًا، وَلَكِنْ كَيْفَ سَنَقَاتُ إِذَا؟

أَبَا مُضَرَ: سَيُدْبِرُهَا اللَّهُ كَالْعَادَةِ جَلِيلَةً.

أُمَّ مُضَرَ: وَنَعْمَ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، أَعَانَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا دِيهَوْمَ.

أبا مُضَرَ: بل وَسَّعَ اللهُ رِزْقِي لِأَوْسَعِ عَلَيْكُمْ.

أُمُّ مُضَرَ: آمين، والآن هيا لنبدأ العمل.

أبا مُضَرَ: أيُّ عملٍ يا امرأة؟

أُمُّ مُضَرَ: تهيئة هذا الحجر لنقيم به.

أبا مُضَرَ: ومَن سيفعلُ ذلك أمُّ مُضَرَ؟

أُمُّ مُضَرَ: نحنُ، أنت وأنا ومُضَرَ وزبرقان وعدنان وعابدة.

أبا مُضَرَ: أدامكم اللهُ لي، ولكنَّ هذا العمل شاقٌّ، فلا تُتعبِ نفسك وعابدة؛ فأنا والفتية سنقومُ به.

أُمُّ مُضَرَ: كما تُريدُ أبا مُضَرَ ديهوم، والآن لنذهب أنا وعابدة!

أبا مُضَرَ: إلى أين؟

أُمُّ مُضَرَ: سنبحثُ هنا وهناك علَّنا نجد شيئاً نطهوهُ لكم.

أبا مُضَرَ: كما تُريدان لُبَّ الفؤادِ وخُذي حِذركِ.

أُمُّ مُضَرَ: حسناً.

مُضَرَ.. زبرقان.. عدنان سنقومُ بتحطيم هذه الصخرة، ثُمَّ نُنظف

مكاتها، ونفترشُ الكهف بحُطامها.

مُضَرَ: حسناً أبي.

زبرقان: لدي رأي آخر أبي إن أذنت لي.

أبا مُضَرَ: تفضّل بُنيّ.

زبرقان: سنُحطّم الصخرة ونُحطّم الكهف الذي يحتويها؛ لنجعلها دارُ ضيافتنا، ثمّ نأخذ الحُطام نفترش به ذلك الكهف البعيد نوعًا ما، ليكون محلّ إقامتُنّا.

أبا مُضَرَ: حسنًا، إذا سنفعل ما قُلتَ زبرقان.

عدنان: أبي أويكفي ما معنا من جلودٍ لغطاء دار الضيافة ومحلّ الإقامة؟

أبا مُضَرَ: سنرى حينَ ننتهي من عملنا هذا.

أمّي عمّ تبحثن؟.. ففي هذا الجبل لا طيرٌ ولا حيوان!

أمّ مُضَرَ: إصمتي فأنتِ قليلةُ الخبرة، فبعض الحيوانات لا تُقيم إلا في موضعٍ كهذا.

عابدة: ولكن أمّي.....

أمّ مُضَرَ مُقاطعةً: إذا ما هذا عابدة؟

أليس جدّي بريّ؟

عابدة مُندهشة: أحقّ ما أرى أمّي؟

أُمُّ مُضَرٍّ: أَجَلٌ، فَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْمَاعِزِ يَعِشُ فِي الْجِبَالِ، وَالآنَ لِنُمْسِكْ بِهِ هَيَّا.

عَدْنَانُ أَجْهَزَتْ لَنَا الْجُلُودَ، فَقَدْ أَنْهَيْنَا الْعَمَلَ كَمَا تَرَى بُنَيَّ؟

عَدْنَانُ: نَعَمْ أَبِي هَا هِيَ.

أَبَا مُضَرٍّ: هَيَّا بَنَا يَا رَجَالَ لِنُغْطِيَ كَهْفَنَا وَنَفْتُرِشَ بِالْبَاقِي دَارَ ضِيَاغَتِنَا.

الْفَتِيَّةُ: حَسَنًا أَبِي هَيَّا بَنَا.

أَرَأَيْتِ عَابِدَةَ كَيْفَ تَعْتَمِدِينَ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ عَلَى نَفْسِكَ، فَلَا شَيْءَ مُسْتَحِيلٍ بُنَيَّتِي.

عَابِدَةُ: صَدَقْتَ أُمَّي.

أُمُّ مُضَرٍّ: وَالآنَ قَدْ أَنْهَيْتُ سَلْخَهَا وَبَقِيَ لِي أَنْ أَطْهَوْهَا، فَكَيْفَ أَجِدُ النَّارَ؟

عَابِدَةُ: دَعِي هَذَا الْأَمْرَ لِي أُمَّي.

أُمُّ مُضَرٍّ: مَاذَا سَتَفْعَلِينَ أَخْتِ مُضَرٍّ؟

عَابِدَةُ: سَتَرِينَ بَعْدَ قَلِيلٍ أُمَّي.

أُمُّ مُضَرٍّ: وَفَقَلِكِ اللَّهُ بُنَيَّتِي.

هَيَّا ارْفَعِ إِلَيَّ زَبْرَقَانَ فَلَا زَالَتْ بَعِيدَةٌ عَنِّي.

زبرقان: تفضّل أبي، أمسك بها جيّدًا، فلو أفلتت لن أقدرُ على الإمساك
بها ثانيةً إلا بعد البدء من جديد.

مُضَر: لا تخف أخي، فقد أمسكتها أبي.

أبا مُضَر: حسنًا فعلت بُنيّ، والآن أدخلها في هذا الوتد هيّا.

مُضَر: قد فعلتُ أبي.

زبرقان: الحمدُ لله قد نجحنا.

أبا مُضَر: الحمدُ لله الذي أعاننا على إتمام عملنا.

عدنان: أبي قد ربطتُ بعض الجلود ببعض لعمل باب لدار الضيافة.

أبا مُضَر: سلّمت يداك عدنان.

الحمدُ لله قد عدتُ أمّي.

أمّ مُضَر: الحمدُ لله، إذا ما هذا الذي تحملينه عابدة.

عابدة: هذه أدواتي لإشعال النّار التي سنطهو عليها الجدي!

أمّ مُضَر: أبهذه ستشتعل النّار؟

عابدة: أجل.

أمّ مُضَر: حسنًا لنرى.

عابدة: بِسْمِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَتْ بِعَمَلِ إِحْتِكَالٍ بَيْنَ حَجْرَيْنِ حَتَّى بَدَتْ مِنْهُمَا
شِرَارَةٌ صَغِيرَةٌ التَّقَطُّطُهَا بِعُودٍ مِنَ الْحَطْبِ لِتَشْتَعَلَ النَّارَ.

أُمُّ مُضَرَ: نَعَمْ الْفَتَاةُ أَنْتِ، وَالْآنَ لِنَقُومَ بِشَوَاءِ هَذَا الْجَدِيِّ.

عابدة: وَأَنَا سَأَجْلِبُ الْمَزِيدَ مِنَ الْحَطْبِ.

أُمُّ مُضَرَ: هَيَّا وَلَا تَتَأَخَّرِي.

الْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ أَقْمَنَا الْبَابَانَ لِلْكَهْفِ وَدَارِ الضِّيَافَةِ.

نَعَمْ مُضَرَ وَقَدْ أَصَابَنَا التَّعَبُ.

مُضَرَ: صَدَقْتَ زَبْرَقَانَ.

أَبِي لَمْ يَتَبَقَى مِنَ الْجُلُودِ شَيْءٌ.

أَبَا مُضَرَ: وَنَحْنُ لَا نَحْتَاجُ لِمَزِيدٍ مِنَ الْجُلُودِ، فَقَدْ كَفَوْتَنَا بِمَا أَعْطَيْتَنَا

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدْنَانَ.

عَدْنَانَ: حَسَنًا أَبِي، يَا رَجَالَ مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ؟

مُضَرَ: رَائِحَةُ شَيْءٍ مَا يَحْتَرِقُ.

زَبْرَقَانَ: بَلْ رَائِحَةُ شَوَاءٍ.

أَبَا مُضَرَ: رَائِحَةُ شَوَاءِ جَدِيِّ؛ إِذَا فَأُمُّ مُضَرَ قَدْ طَهَتْ لَنَا طَعَامًا،

لِنَذْهَبَ خَلْفَ الرَّائِحَةِ.

عابدة أمسيكي جيّدًا فقد نَضِجَ الجَدِي.

عابدة: حسنًا أمي، ولكنّ أسرعِي فهذا السيخُ ساخنٌ جدًّا.

أمّ مُضَر: ها قد أسرعت، هيّا لنضعهُ على هذا الرداء وحاداري أنْ تُفلتيه!

عابدة: حسنًا أمي، لنقل بِسْمِ اللّهِ هيّا.

أمّ مُضَر: أحسنتِ بارك اللّهُ فيكِ بُنيّتي.

بل بارك اللّهُ لي فيكما تاجانِ رأسي وروحا قلبي.

أبا مُضَر حمدًا للّهِ على قدومك، فقد كِدنا أنْ نياس من وصول هذا الجَدِي لكم؛ لبُعد المسافة ولا زال ساخنًا.

أبا مُضَر: سلّمت يداكما جليلة وعابدة، والآن لنحمل عنهما هذا الجَدِي، وهذه الأواني هيّا بنا يا رجال.

أمّ مُضَر: إلى أين؟

أبا مُضَر: إلى بيتنا جليلة.

أمّ مُضَر: بيتنا.. بيتنا نحنُ هنا.

أبا مُضَر: أجل، هيّا لتري.

مُضَر هلاًّ ساعدتني في حمل الجَدِي؟

مُضَر: هيا زبرقان، بِسْمِ اللّٰهِ.

عدنان عليك بحمل ما تبقى من أشياء.

حسنًا زبرقان سأفعل.

ها قد وصلنا جليلة حبيبة ديهوم..

ما شاء الله لا قوة إلا بالله، اللهم بارك لنا فيه.

أعجبك جليلة؟

أمّ مُضَر: وكيف لا يُعجبني وقد تحمّلت من التعب ما تحمّلت لأجل

راحتنا، بارك الله فيكم.

أبا مُضَر: هيا لتدخلي الدار لتباركها.

أمّ مُضَر: بِسْمِ اللّٰهِ، ما هذا الجمال ديهوم؟

أبا مُضَر: الجمال لمن يستحقّ الجمال جليلة .

هيا فلذاتي لتدخلوا.

مُضَر: لتكن عابدة أولنا دخولاً فهي تاج رؤوسنا.

زبرقان: صدقت أخي.

عدنان: حسنًا قلت أخي.

عابدة: بارك الله لي فيكم ولا حرمني إيّاكم تيجانُ رأسي.. بِسْمِ اللَّهِ.

والآن لتناول طعامنا فقد أضعفنا الجوع.

حسنًا أبا مُضَرَ، عابدة هيّا لتجلي الماء.

أبا مُضَرَ: من أين تجلب الماء؟

أمّ مُضَرَ: لا تقلق فقد وجدت بئرًا فملأت لنا منه القربة.

أبا مُضَرَ: سبحان الله كما أقولُ دائمًا عابدة وجهُ الخير.

عابدة: سَلِمَتَ أبي، الماءُ أمّي تفضّلي.

أبا مُضَرَ: ستذهبنَ معي في الصباح لِثُرَيْني بئرُ عابدة!

عابدة: بئرُ عابدة.. وماذا عنه؟

أبا مُضَرَ: البئر الذي وجدتِ؛ فقد أسميتهُ عابدة وسيظلُّ هكذا إلى
حَفَدِتنا.

عابدة فَرِحَتْ: حسنًا أبي.

مرّت الأعوام وأصبح جبل ديهوم _ كما أُطلق عليه فيما بعد _ أهلاً

للسكان من القرى المجاورة له، وقد اختلط نَسب ديهوم بنسب

المُقيمين معه؛ من خلال زواج ابنته من ابنِ أحدهم، وكذا زواج أبنائه

الثلاثة من بناتهم؛ وقد نتج عن هذا الزواج الكثير من الحفدة ممّا

جعل الصلة بين ديهوم والمُقيمين أقوى ممّا كانت عليه، وبقدوم العام
الف وتسعمائة وثلاثين أصبح جبل ديهوم مقبرةً بعد موت آخر حفيد
من صُلب ديهوم..

لم ينتهي الأمر عند هذا الحدّ؛ فقد وجدوا رقعةً جلدٍ تُخبر بأنّ لديهوم
أرضٌ شاسعةٌ في إحدى المناطق تُسمى ب دير ديهوم.. وبها بعض
السُّكّان!

7_ (رسالة من الماضي)

أصدرَ هاتفها صوتًا للتعريف بوصول رسالةٍ إليها من قِبَلِ أحدهم.
تركتُ حقيبةَ ملابسها وأمسكتُ هاتفها لتتفاجأ بنصِّ الرسالة: السلامُ
عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاته.. أعتذرُ عن ما كانَ مِنِّي بشأنك، ولتعلمي
بأنني قد حاولتُ التواصلَ معكِ طيلةَ الأيامِ الماضيةِ ولكنَّ الخوفَ
تملَّكني، خَشيتُ أن لا تُجيبني، أعلمُ أنَّك لن تغفري لي، والحقُّ معكِ؛ فلا
يستحقُّ الغُفرانَ مَنْ غَدَرَ بعدَ الأمانِ.

لتعلمي بأنني قد بحثتُ عنكِ في الفتيات اللاتي اختارتهنَّ لي أمِّي وكذا
زوجةَ أخي، ولكنني لم أجِدكِ ففشلَ مشروعُ زواجي من غيركِ، كبرتُ
وعاندتُ وحَلَفْتُ بأن أحيا سعيدًا بدونكِ، فما كانَ مِنِّي إلاَّ التكفير عن
جَنبِ اليمينِ.

كثيرًا ما حاولتُ إخراجكِ من عقلي وفصلكِ عن رَوْحي.. حاولتُ وحاولتُ
وحاولتُ ولكنَّ مُحاولاتي باءت بالفشلِ.

تذكَّرتُ يومَ أن وعدتكِ بأن أظلَّ حافظًا لحُبِّكِ حتى تتمَّ الأمورُ،
وتذكَّرتُ حُلْمكِ بيومِ الزفافِ والفستانِ الأبيضِ الملكي بطرحتهِ الكبيرةِ
وذيله الطويلِ، وتاجه الأنيق وقفَّازهِ المُرَكَش كما كُنْتِ تُريدين، ذهبتُ
إلى السوقِ وابتعتُهُ لكِ وحفظتهُ عندي، لكنني تذكَّرتُ يومَ كسرتُ
قلبكِ الطاهر حينَ نقضتُ عهدي (بفسخِ الخطبةِ)، وغدرتُ بكِ بعد

أَنْ تَرَا جَعْتُ عَنْ إِكْمَالِ مَسِيرَتِنَا مَعًا طَالِبًا مِنْكَ أَنْ تَبْحِثَ عَنْ طَرِيقِ
آخِرِ غَيْرِ طَرِيقِي لِتُكْمِلِي فِيهِ مَسِيرَتَكَ وَكَذَا أَنَا سَأَفْعَلُ.

لَكَمْ ذَرَفْتُ دَمًا عَلَى تِلْكَ الْكَلِمَاتِ وَتَمَنَيْتُ لَوْ عَادَ بِيَّ الزَّمَانُ فَأَبْتَرَ لِسَانِي
قَبْلَ أَنْ يَنْطِقَهَا وَلَكِنْ لَاتَ حِينَ زَمَانِ!

مَا جَعَلَنِي أَتَشَجُّعٌ وَأُرَاسَلُكَ الْيَوْمَ هُوَ مَعْرِفَتِي بِقَلْبِكَ الطَّيِّبِ الْبَرِيِّ
الطَّاهِرِ مِنْ خَبَثِ الدُّنْيَا.. وَأَيْضًا لِأَنَّي ذَاهِبٌ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ
(مُعْتَمِرًا) عَسَى بِالْعُمْرَةِ يُغْفِرَ لِي مَا كَانَ مِنِّي.. لَذَا أَرْجُو أَنْ تُسَامِحَنِي
لِوَجْهِ اللَّهِ فَمِثْلِي لَا يَسْتَحِقُّ الْمُسَامِحَةَ.

كَفَكَفْتُ دَمْعَهَا وَأُرْسَلْتُ لَهُ تَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ إِهْتَدَى وَبَعْدُ.. أَمَّا
قَبْلُ فَكُنْتُ مِنِّي بِمَنْزِلَةٍ يَعْلَمُهَا رَبِّي وَتَعْلَمُهَا، لَكَمْ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَنِي
بِكَ فِي حَلَالِهِ دُنْيَا أُخْرَى، وَأَسْتَزِدُّ فِي ذَلِكَ، فَظَلَمْتَنِي وَغَدَرْتَ بِي دُونَ
حَقِّي، وَأَظْلَمُ الظُّلْمَ مَا كَانَ بِالْقَلْبِ، كُسِرْتُ بِدُونِ ذَنْبِ جَنِيَّتِهِ، فَقَطَّ
لَأَنَّكَ أَنْتَ (...) وَالنِّدَالَةَ لَيْسَتْ مِنْ شِيَمِ الْكِرَامِ.

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ دَعَوْتُ رَبِّي بِطَرِيقٍ لَا تَكُنْ أَنْتَ فِيهِ، وَأَنْ لَا يَجْمَعَنِي بَكَ
دُنْيَا وَأُخْرَى، وَأَنْ يَجْعَلَ ظُلْمَكَ لِقَلْبِي سَبَبًا لِعِوَضٍ جَمِيلٍ مِنْ رَبِّ كَرِيمٍ
وَقَدْ كَانَ.. فَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ بِزَوْجٍ صَلَحَ بِهِ أَمْرِي، وَجُبِرَ بِهِ قَلْبِي، زَوْجٍ
يُشْبِهُنِي وَأُشْبِهَهُ، أَرْضِيهِ لِنَفْسِي دُنْيَا وَآخِرَةً كَمَا ارْتِضَانِي هُوَ.

وعنك أيها الماضي البعيد فلا مكان لك حتى في مزبلة ذكرياتي؛ فحين تزوجت ملكت زوجي من قلبي وعقلي فأنا له كاملة مكملته وكذا هو لي.

أما عن المسامحة فالله غفار غفور رحيم، لذا سأسامحك لوجهه الكريم، مع علي بأنك لن تهنا حتى بعد العُمره؛ فظلمك لي يتجسد لك في كل موقف مشابه وهذا يكفيني.. يكفيني أن يقتلك ضميرك رويدًا رويدًا.

وقبل أن تضغط زر الإرسال حذفت الرسالة وحظرت الرقم، ثم أخرجت شريحته القديمة تلك وألقته بصندوق القمامة، واستبدلتها بشريحته التي أهداها إيّاها زوجها، وأنهت وضع تجهيز الحقيبة وسافرت بصُحبة زوجها إلى السعودية لأداء العُمره.

8_ (عمل مشبوه)

كانت تبحثُ عن عملٍ لتُساعد أخيها في حمل أعباء البيت خاصَّةً وهو المتكفل بها منذُ وفاة أبيها وإلى الآن، تركَ حلمه في إكمال التعليم ليُعلِّمها هي، ثمَّ ضاعفَ عمله ليُستطيع تجهيزها للزواج.. وجدت عملاً مُغريباً غريباً عجيباً لا مثيل له ففرحت وأسرعت لتُخبره. وجدتها.. وجدتها.

تبسمَ لها: وما وجدتِ حبيبتي؟

وجدتُ عملاً أخي لم أرى مثله في السهولة.

كيفَ أُخيِّتي نورهان؟

نورهان: لا شروط له سوى حُسن المظهر.

وأينَ عرفتيه أُخيِّتي العزيزة الغالية؟

عن طريق إحدى وسائل التواصل الإجتماعي أخي مسعود.

مسعود: وما هي مُميزاته؟

نورهان: لا مقرراً للعمل؛ فلا حاجة للذهاب والمواصلات، ولا ساعات

كثيرة ولا جُهد.

مسعود: وكم المُرتب؟

نورهان: في اليوم أم الشهر؟

مسعود بدهشة: ماذا تقولين؟

نورهان فرحة: أجل أخي، ففي اليوم ألف جُنيه ولربُّما بلغ ثلاثة آلاف؛
فالمرتب على حسب الجمال.

مسعود: إذاً لتقدّم لهذا العمل.

ردّت ضاحكة: لا، لا يصحُّ أخي؛ لأنَّهُ خاصُّ بالفتياتِ فقط، شريطة
حُسن المظهر وعدم الزواج.

مسعود: فلتُسامحيني أُخيّتي على تقصيري بحقك.

نورهان بعدما ربتت على كتفه: المَعذرة أخي لم أقصد، فقط أردتُ
مساعدتك في الإنفاق على البيت فبحثتُ عن عملٍ.

نظَرَ لها مسعود مُبتسمًا ثمَّ ربتَ على كتفِها: أوهذا عملٌ يليق بكِ تاج
رأسي وسيدة الفتيات؟

كما أنّهُ لا مصدر له، ولا يصحُّ عقلاً أن يكونَ ما ذكرتِ عملاً إلا على
حسب نيّة صاحبه أو المُعلن عنه.

فهمتُ ما أرادَ أخاها، وأقلعت عن عملٍ تحوطهُ الشُّبهات.

مرّت الأيام وزادَ الجَمَلُ على مسعودٍ بعدما زادتْ الأسعارُ وعمَّ الغلاءُ أرجاءَ الجمهورية، فكّرتْ نورهان في البحثِ عن عملٍ شريفٍ لتُساعد أخِيها، الذي كَثُرَتْ مسؤولياتُه بعدما وضعتْ زوجته طفلها الثالث.

نصحتها إحدى زميلات الدراسة أن تعملَ كَمندوبةٍ للمبيعات، فهذه هي المهنة التي ستدر لها المال، دونَ أن يطأها أذى.

فكّرتْ في نصيحةِ زميلتها، ثمَّ عرضتْ على زوجِ أخِيها الفكرةَ، فنهتْها عن هذا العملِ وطلبتْ منها عدمَ البحثِ عن أيِّ عملٍ آخر، كما نصحتها بالإهتمامِ بدراستها.

أظهرتْ إعراضها عن الفكرةَ، بينما هي قد ذهبتْ برفقةِ ناهد زميلتها إلى صاحبِ العملِ، وأخذتْ منه حقيبةَ بها بعضُ مُنتجاتِ العناية بالشعر، على أملٍ أن تبيعها في الغد.

جاء الغدُ وبدلاً من أن تذهبَ نورهان لكُلّيّتها، ذهبتْ إلى محالِ البقالةِ، و المقاهي وصالوناتِ الحلاقةِ الرجاليةِ، حتّى إنتهى بها المطافُ بإحدى العمائر.

استأذنتْ حارسَ العقارِ في عرضِ بضاعتها على السُكّانِ، رَفَضَ في بادئ الأمرِ، لكنَّهُ وافقَ بعدَ أن قصّتْ عليه ظروفها.

دلفتُ وأسرعتُ بعرضِ بضاعتها على الشُّققِ، وبفضلِ لباقتها وحُسنِ إقناعها باعتُ نصفَ المُنتجاتِ وبقيَ معها نصفها الآخر.

عادتُ إلى البيتِ في موعدها الذي تأتي فيه من الجامعة، سألتها زوج أخيها عن دراستها،طمأنتها ودلفتُ عُرفتها وقد بدا عليها الإرهاق.
أعدتُ نبيلةَ لها الغداء ثمَّ أدخلتُها لها عُرفتها، وتركتها لتتناوله على مهل.
مرَّ شهرانٍ ولم تطلب نورهان ما كانت تطلبه من مصروفاتٍ من أخيها مسعود، خشي من صمتها الغير معهود، ثمَّ جهَّز لها المال وأعطاه إياها مساءً.

رفضتُ نورهان أن تأخذهُ بحُجةٍ أنَّ الإمتحانات قد أوشكت وهي ليست بحاجةٍ إليه، استحلفها مسعود بالله فقصتُ عليه ما حدث، وأخرجتُ له من خزانة ملابسها بعض ما معها من مُنتجات، كما طلبتُ منه أن يقبلَ بأخذِ المال الذي تحصَّلت عليه نظيرَ عملها.

نظَرَ مسعود إليها نظراتٍ غاضبة، ثمَّ أخذَ يقرأ ما تبيعه من مُنتجات، فإذا به قد تغيَّر لونه، وأخذَ يدعو على صاحبِ العمل؛ إذ أن هذه المُنتجات كانت سببًا في خُسرانِ ابنة صاحبه لشعرها هي وأمها، بعد أن ابتاعها من أحد مناديب المبيعات!

ثمَّ طلبَ منها قراءة تاريخ الصلاحية، فعلتُ فوجدته سليمًا، أخذ منها المنتج وقامَ بخلع اللاصق المكتوب عليه هذا التاريخ، فإذا بالتاريخ الحقيقي قد ظهرَ وقد إنتهت صلاحيته منذُ فترة.

نَظَرْتُ حَوْلَهَا مَشْدُوهُةً، لَا تَدْرِي مَاذَا تَفْعَلُ، نَصَحَهَا مَسْعُودٌ بِتَرْكِ
الْعَمَلِ عَلَى الْفُورِ، وَفِي الْغَدِ ذَهَبْتُ إِلَى صَاحِبِ الْعَمَلِ وَوَاجِهَتُهُ بِفَعْلَتِهِ
النِّكَرَاءِ، لَكِنَّهُ أَنْكَرَ وَتَنَصَّلَ مِنَ الْمُنْتَجَاتِ الَّتِي بَحَوزَتَهَا، ثُمَّ هَدَّهَا بِأَنْ
تَبْتَعِدَ عَنْ طَرِيقِهِ وَإِلَّا أَدْخَلَهَا السِّجْنَ بِقَضِيَّةٍ مَزُورَةٍ.

عَادَتْ إِلَى الْبَيْتِ مَكْسُورٌ خَاطِرُهَا، فَفُوجِئْتُ بِحَفْلِ وَكَعِكٍ وَزِينَةٍ
وَعَصَائِرٍ، أَخْبَرَهَا مَسْعُودٌ أَنَّ الْيَوْمَ هُوَ يَوْمُ مِيلَادِهَا، ثُمَّ نَصَحَهَا سِرًّا أَنْ
تَهْتَمَ بِدِرَاسَتِهَا كَيْ تَعْمَلَ بَعْدَ التَّخَرُّجِ مَعَهُ بِالشَّرْكَةِ الَّتِي يَعْمَلُ بِهَا.

خرجت في الصباح الباكر فاطمة (جميلة الهيئة ذات الرداء الأحمر، والشعر الأسود، والبشرة البيضاء والعيون الواسعة السوداء، والرموش الكثيفة، والشويمة فوق شفتها العلوية) مُتجهةً إلى الحقلِ لمُعاونة أباها في العمل؛ فأخويها أحدهما في الخدمة العسكرية والآخر يعمل خارج القرية، وأمّا أمّها فتعمل على تربية بعض البط والدجاج بالإضافة لرعاية بعض الجاموس المُقيم بفناء البيت، وأيضاً تُساعد جاراتها نظير أن يُساعدنها إذا احتاجت لهنّ.

وصلت حقلها فألقت السلام على أبيها وقبّلت يمينه ثمّ شرعت في عملها.. ساعتين وانتهت، أخبرها أباها بأنّه ذاهبٌ إلى البيت لأخذ قسطٍ من الراحة ليستطيع إكمال يومه، أومأت له مُبتسمة ثمّ أمسك منديلاً كبيراً فحلّت عُقدته وأخرجت منه بعض الخبز والجبن ثمّ تناولته كغداءٍ، وجلست تنظر في الخُضرة والبهايم حتى هبّت الرياح فجاءت لها بورقة مسطورة ببعض الأحرف، حملت بها في محاولةٍ منها لفهم ما تحويه ولكن دون فائدة؛ فهي لا تعرف كيف تقرأ وسقطت عبارتها حين تذكّرت إحدى مُعلمات الفصل الواحد عندما أتت أبويها لإستئذانهما في إلحاق فاطمة بالتعليم فما كان من فردوس أمّ فاطمة إلّا أن حبستها في عُرفة الأشياء المعدومة والمتهالكة، ثمّ أخبرت المُعلّمة بأنّ فاطمة ماتت وليس لديها بنات كي تُرسلهنّ لطلب العلم.. سمعت

فاطمة ما دار بين أمها وبين المعلّمة فانهمر دمعها على وجنتيها، وضعت يداها على فيها كي تتوجع في صمتٍ دون أن يشعر بها أحد.

كفكفت دمعها وطوت الورقة ودسّتها بدرعها، ثمّ عاهدت نفسها أن تُزيل غشاء الجهل بنور العلم، فضلّت تُحاول وتُحاول وتُحاول، وتُحاول وتُحاول حتى استطاعت بعدما سمّعت المعلّمة تقرأ على البنات في الفصل الواحد حروف الهجاء، ظلّت تُنصت للمعلّمة حتى حفّظت حروف الهجاء وأشكالها ثمّ حاولت وحاولت وحاولت حتى كتبتها على لوحٍ خشبي واحتفظت به في الحقل؛ فكلّما ذهبت إلى الحقل وأنهت عملها أخرجت اللوح وأخذت تقرأ حروف الهجاء حتى أتقنتها ببلوغها الثالثة عشر وبعد مرور عامٍ أو أقل على إنصاتها للمعلّمة من خارج الفصل الواحد.

أخرجت الورقة من مخبأها وأخذت تقرأ فوجدتها جملة واحدة (لا تياس وربك الله)، فقطعت عهداً على نفسها وهو أن تُعلّم أولادها حين تتزوج وتُنجب حتى تُنار عقولهم بنور العلم.

تزوجا عن قصبة حُبِّ، صَبِراً معاً على ضيقِ الحال وصعوبة الظروف،
 عَمَلٌ هو مُخْتَلَفُ الحِرْفِ كَالنَّجَارَةِ وَالجِدَادَةِ وَالخِيَاطَةَ، بِالإِضَافَةِ لِبَيْعِ
 الخُضَرِ وَقِيَادَةِ السَّيَّارَاتِ، ظَلَّ يَعْمَلُ حَتَّى جَمَعَ مَبْلَغًا مَكْنَهُ مِنْ شِرَاءِ
 قِطْعَةٍ أَرْضٍ بِمَنْطِقَةٍ نَائِيَةٍ تَتَّبِعُ مَحَافِظَةَ القَاهِرَةِ، ثُمَّ أَكْمَلَ العَمَلَ مَا
 بَيْنَ حِرْفَةٍ وَأُخْرَى حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ إِنْشَاءِ بِنَايَةٍ عَلَى قِطْعَةِ الأَرْضِ الَّتِي
 ابْتَاعَهَا سَالِفًا، بَيْنَمَا عَمِلَتْ هِيَ بِوِظَيفَتِهَا المِثَالِيَّةِ كَرَبِةٍ مَنْزِلٍ، تَرعى
 شِئْوُونَ زَوْجِهَا وَبَيْتِهَا حَتَّى رَزَقَهَا اللهُ بَوْلَدٍ جَمِيلٍ.. حَبِيبٍ.

سُعاد.. سعاد ها قد جئتُ حبيبتى.

أَسْرَعْتُ إِلَيْهِ وَاحْتَضَنْتُهُ ثُمَّ دَلَفْتُ لِعُرْفَةِ نَوْمِهَا فَجَاءَتْهُ بِحَبِيبٍ ذُو
 العَامِ وَنِصْفِ العَامِ، حَمَلُهُ بَيْنَ ذِرَاعِيهِ وَأَنْهَالَ عَلَيْهِ مُقْبَلًا حَتَّى أَخَذَتْهُ
 مِنْهُ وَأَضَافَتْ: كَدْتُ أَنْ تَأْكُلَهُ حَسَنًا.

رَدَّ بِصَوْتٍ ضَاحِكٍ: قَدْ اشْتَقْتُ إِلَيْهِ سَعَادُ، نَظَرْتُ إِلَيْهِ بِإِيْمَاءَةٍ جَعَلَتْهُ
 يُرْدِفُ وَلَأُمِّهِ أَيْضًا.. ثُمَّ ذَهَبَا لِتَنَاوُلِ العَدَاءِ بَعْدَمَا نَامَ حَبِيبٌ.

مَرَّتِ الأَيَّامُ وَزَادَ حَسَنٌ غِنًا فَتَغَيَّرَتْ حَيَاتُهُ بَعْدَمَا سَمَحَ لِزَوْجَتِهِ بِالعَمَلِ
 بِأَحَدِ شِرْكَاتِهِ.. كَمَا أَرَادَتْ.. وَالَّتِي خَصَّصَهَا لَهَا وَتَنَاوَلَتْ لَهَا عَمَلًا،
 فَحَوَّلَتْ نَشَاطِهَا مِنْ إِسْتِيرَادِ اللَّمُكْسَرَاتِ لِإِسْتِيرَادِ مُسْتَحْضِرَاتِ
 التَّجْمِيلِ وَالعَطُورِ، ثُمَّ افْتَتَحَتْ صَالُونًا لِلتَّجْمِيلِ خَاصًّا بِالنِّسَاءِ.. كَبُرَ

حبيب وبلغ العاشرة، كثرت المُرَبِّيات له في حين لم يجد من هو أحوج إليها من أيِّ أحد، لإنشغالها بتحدِّي زوجها؛ فقد تحدّته أن تصبح شركتها كبرى شركات مصر حين نصحها بإعادة نشاط الشركة لما كانت عليه نظرًا لخسارة المال دون فائدة، ثمّ طلبت منه الطلاق فيما بعد عندما خيّرهما بين العمل وبيتها وابنها، اختارت العمل وضربت بنصحها عرض الحائط، هدّدها بالطلاق فتمادت في طلبه حتى طلقها، ثمّ تزوجت برجلٍ آخر عُقب انقضاء عدّتها، بينما سافرَ حسن لإحدى دول الخليج واستقرَ هناك بعدما نقل عمله وحياته كلّها عدا حبيب؛ فقد اشترطت سعاد أن يُقيمَ مع أمّها.

ظلّت حياة حبيب جامدة لا رُوحَ فيها بعد زواج أمّه وسفر أبيه وإقامته مع جدّته لأُمّه.

حمَدَ الله على نعمة الخيال والتي تُهَوِّنُ عليه ما هو فيه، فأخذ يتخيّل ويتخيّل حتى استطاع أن يفعلها.. فقد رسمَ لنفسه عالمًا من الخيال؛ ليقطنه بمفرده، جمَعَ فيه والده الغائب بوالدته المطلّقة من أبيه والمتزوجة من رجلٍ آخر، وذوي قُربته الذين لا يتذكرونه أبدًا رُغم حُبّه لهم وتفكيره بهم، وأضاف لعالمه شوارعٌ نظيفة مُزينة بالأشجار والورود، ومدارس مليئة بالنشاطات، وحدائق زاخرة بالهدايا، وأكثرَ فيها من البط ليفوق عددهم عدد الأناس؛ مُبررًا لنفسه: فالبطُ لا يُطلق زوجته ولا تتزوَّج بطة غير زوجها وتترك ولدها لأُمّها، كما أن البط

لا يَنسونَ بعضهم البعض، ولا يتخلَّونَ عن بعض، ولا يُسيئونَ معاملة
الصغار ولا يتهمونَ على الكبار، ولا يقطعونَ الأشجار ولا يسحقونَ
الورود.. فالبطُّ هم أهلاً لعالمي، لذا سأبدلُ أبي وأمِّي وذوي قُربتي ببطِّ،
فما رسمتُ مدينةَ البطِّ إلَّا لأتركَ لهم مجالاً أوسع لمصارعة فكريهما،
ثمَّ أخذَ كراسته وأعدَّ عُدَّتَهُ وذهب.

رأيتها تَقْتَطِعُ من ثوبها بِمِقْصٍ حادٍّ، راعها المنظر فاقتربت منها لتسألها
عن سبب ذلك.

أجابتها: أفعُلُ ما تتقدّم بهِ بلادي أُمِّي.

أخذتها الدهشة من قولة فتاتها قبل أن تسألها: وَمَنْ أُوْهَمَّكَ بِأَنَّ العُرِّي
هو ما تتقدّم بهِ البلاد؟

أجابتها: رأيتُ بعض النساء يرتدين ملابسٍ قد مزّقنّها من أعلى وأسفل،
فعلّمتُ أُمَّهنَّ يفعلنّ ذلك لتقدّم البلاد.

أني لك ذلك الظنّ بُنيّة؟!!

منك أُمِّي.. فقد أخبرتني بأنّ المرأة هي أساس المجتمع أو فسادهِ؛
فهي مَنْ تُرَبِّي الأجيال و.....

قاطعتها: أي بُنيّة عن المرأة الصالحة حدّثتُكِ والصلاح لا يأتي بالفسادِ
والإفساد.

تركتُ ما بيدها وطلبت من أُمّها الإيضاح.

ربتت الأُمّ على كتفها بحنانٍ وأضافت: بُنيّتي هل رأيتني أخرج للشارعِ
بملابسٍ مُمزّقة؟

أجابت بالنفي.

هل رأيتني أكشفُ شعري أمامَ مَنْ لا يحلُّونَ لي؟

أجابتُ بالنفي.

هل رأيتني استعطرُ عندَ الخروجِ؟

أجابتُ بالنفي.

هل رأيتني أكشفُ بعضَ أجزاءِ جسدي؟

هنا غَضِبَت الفتاة قبلَ أن تُضيفَ: إنَّ أبي لم ولن يسمحَ لكِ بذلكِ..
كما أنَّكِ لم ولن تفعلي أُمِّي.

تبسَّمتَ لها وسألتها: ولمَ لا أفعلُ بُنيَّة؟

أجابتُ بِسُرعة: لأنَّكِ مُسلمة وقد نهاكِ اللهُ ورسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - عن ذلكِ فوجبَ عليكِ أنْ تنتهي.

احتضنتها ثمَّ أردفت: أعلمتِ إذاً كيف تُفيدينَ البلادَ؟

ابتسمت لِتُضيفَ: أجل أُمِّي، أفيدُ البلادَ بتقوى اللهِ والعملِ على
إرضائه، والتمسُكِ بكتابِ رَبِّي وسُنَّةِ رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كي
أستطيعَ تربيةَ أبنائي حينَ أتزوَّج، لأُخرجَ لبلادِي جيلاً كأجيالِ أجدادنا
أبي بكرٍ الصديق، وعُمرَ الفاروق، وعُثمانَ ذي النورين، وعليَّ أبا
الحسنينِ رضوانِ اللهُ عليهم أجمعين.

قَبَلتِ الأُمُّ جَبِينها وأرَدفت: هكذا هو.. لا تنساقِي وراء مَنْ يُريدُ لبلادِكِ
الخرابَ فينادي بتعريِ المرأةِ بحُجَّةِ التَّقَدُّمِ والرُّقي، وإني واللهِ يا ابنتي لا
أرى في العُريِّ إلاَّ رُخصًا وبذاءة، فلو كانَ العُريُّ تقدُّمًا لعَرَّتِ الرجالُ
نساءهم، ولكنَّ الرجالَ رجال، ولتنظُرِي لأبيكِ فلو كانَ في العُريِّ خيرًا
لعَرَّاني وعَرَكَ، ولكنَّ الجواهر ما كانتُ جواهر إلاَّ ببعدها عن أيدي
العابثين وأكلِ الناظرين، فالجواهر جُعِلت لتُحَفَظَ لا لتُكشَفَ.

مريم توركان